العنوان:	الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي
المصدر:	مجلة العلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة المرقب - كلية الآداب بالخمس
المؤلف الرئيسي:	حريبش، أحمد مريحيل
مؤلفين آخرين:	ناجي، سالمة إشتيوي علي(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع17
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	447 - 465
رقم MD:	941672
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الفكر الفلسفي، الفلسفة الأخلاقية، الفلسفة الإسلامية، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/941672

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

حريبش، أحمد مريحيل، و ناجي، سالمة إشتيوي علي. (2018). الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي.مجلة العلوم الإنسانية، ع17 ، 447 - 465. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/941672

إسلوب MLA

حريبش، أحمد مريحيل، و سالمة إشتيوي علي ناجي. "الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي."مجلة العلوم الإنسانيةع17 (2018): 447 - 465. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/941672

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الاندلسي*

إعداد: د. أحمد مريحيل حريبش

أ. سالمة اشتيوى ناجى

المقدمة

تُعد الفلسفة الأخلاقية جانباً مهماً من جوانب الدراسات والأبحاث الفلسفية والفكرية، وقد كانت مدار جدل واسع بين أوساط الفلاسفة والمفكرين والسياسيين والمذاهب المختلفة قديماً وحديثاً، حيث لا تخلو مدرسة من المدراس إلا ولها موقف من الفعل الأخلاقي وطريق لتحديد السلوك والفضيلة، وتجسيد السبل لتجنب الوقوع في الرذائل والشرور.

ولهذا كان اختيارنا لموضوع الأخلاق عند ابن حزم الاندلسي، ذلك المفكر المسلم الأصولي الفقهي المؤرخ متعدد الاتجاهات والإبداعات وهو ما زاد الموضوع أهمية.

فابن حزم يعد مفكراً وناقداً للمدراس الفلسفية والفرق الكلامية في عصره، وهو ما جعل الباحثين ينكبون على تناول جوانب فلسفته المختلفة لاسيما منها الأخلاقية.

* ابن حزم: (384–456هـ)هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سفيا بن يزيد، كنيته ابو محمد، شهرته ابن حزم، فارسي الأصل إسلامي الديانة والمنشأ عاش بقرطبة بالأندلس من أسرة عريقة أشهر مؤلفاته الفصل في الملل والأهواء والنحل، الأخلاق والسير، التقريب لحدود المنطق، طوق الحمامة.

انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، تحقيق محمد إبراهيم نصير، دار الجيل بيروت، ص54

فتهدف الدراسة إلى إظهار الآراء والأفكار التي أثبتها ابن حزم كمحددات للسلوك الإنسان ي وتسليط الضوء على الجوانب الفلسفية المتصلة بالأخلاق عنده، ومعرفة السلوك الفاضل والغاية القصوى من كل فعل اخلاقي، وفهم مساهماته في مجال الفكر الفلسفي الأخلاقي الإسلامي المتصل بتحقيق السعادة والوصول إلى الخير الأعلى.

أما عن المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فكانت المنهج التحليلي الوصفي إضافة إلى استخدام المنهج التاريخ في بعض الأحيان بحسب متطلبات الدراسة.

أما عن إشكالية الدراسة فتتمثل في السؤال المحوري والأساسي الذى تدور حوله مباحث الدراسة والذى نحاول الإجابة عنه : فما هو مفهوم الأخلاق عند ابن حزم؟ وما الجديد الذى قدمه في هذا المجال؟ وكيف اختلف عن فلاسفة اليونان وفلاسفة الإسلام في تحقيق الخير الأعلى؟ وما هي طرق تحقيق السعادة؟

أما عن تقسيمات البحث فقد تطلبت الدراسة عدة عناوين كل منها يتكون من عدة مطالب منها: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً وغاية الأخلاق عند ابن حزم، ومفهوم الفضيلة ونظرية السعادة ونظرية طرد الهم عنده، وبعض الحكم التي أوردها في ثنايا مؤلفاته.

اولا : مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحا:

أ:المعنى اللغوى: جاء في لسان العرب لابن منظور أن كلمة خُلق تعنى الطبع والسجية، وهو ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدع على غير مثال سابق إليه.

فالخُلق على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير، والخلق في

القرآن الكريم بمعنى التقدير.[1]

ب: المعنى الاصطلاحي: اختلف العلماء في تحديد معنى جامع مانع لكلمة الأخلاق إلا أنهم اتفقوا على الموضوع الأساسي الذى يدور حوله الفعل الأخلاقي ألا وهو السلوك فهو يبحث في الحقيقة الداخلية للإنسان.

فيعرفه ابن مسكويه في كتابه الشهير تهذيب الأخلاق بأنه: ((حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية، وهي تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ومنها ما يكون مستفادا من العادة والتدريب وبما كان مبدؤه بالرؤية والفكر))[2] ويعرفه الغزالى في كتاب إحياء علوم الدين بأنه: ((هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ولا رؤية، فإن كانت الهيئة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خُلقاً حسناً وإن كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت خُلقاً سيئاً))[3].

ويعرف الكفوى الأخلاق في كتابه الكليات بقوله إنه ملكة يستقيم من كانت به عما يشينه.[4]

وقد ذكر الدكتور محمد مرحبا عدة تعريفات لكلمة الأخلاق منها: إنه علم الخير والشر وإنه دراسة الواجب والواجبات، وإنه علم القواعد التي إذا أخذ بها الفرد كان تام الخلق.[1]

[1] ابن منظور لسان العرب، مادة خلق، دار المعارف القاهرة، ج2، ص1245

[2] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه مكتبة الوفاء الدينية 2010م ص31

[3] احياء علوم الدين الغزالى تحقيق بدوى طبانه دار احياء الكتب العربية ج1 ص190

4 الكليات ابو البقاء الكفوي دار الفكر العربي القاهرة ص270

أما في الموسوعة الفلسفية لمعن زيادة فالأخلاق علم معياري يهتم بالعادات الأخلاقية ومعرفة الجانب الداخلي للسلوك.[2]

أما في المعجم الفلسفي: فان مفهوم الاخلاق هو لفظ يطلق على جميع الافعال الصادرة عن النفس محمودة كانت او مدمومة فنقول فلان كريم الاخلاق وفلان سيء الخلق، فاذا اطلق على الافعال المحمودة دل على الادب لأن الادب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال، فهو يشير الى التحلي بالفضائل ومعرفة طرق اقتنائها لتزكية النفس.[3]

أما عند ابن حزم فإنه يربط الخلق بالفضيلة فيرى بأن أحوال الفضائل أربعه: عنها تتركب كل فضيلة وهي (العدل والفهم والنجدة والجود) وأصول الرذائل أربعه: عنها تتركب كل رذيلة هي (الجور والجهل والجبن والشح)، وإن القناعة فضيلة مركبة من (الجود والعدل)، والمداراة فضيلة مركبة من (الحلم والصبر) والصدق فضيلة بين (العدل والنجدة).[4]

ويعطى عدة مفاهيم تدور في معظمها حول الفضائل منها الجود الذي يقصد به تبذل الفضل كله في وجوه البر وأفضل ذلك في الجار المحتاج، وذوى الرحم الفقير، وذي النعمة الذاهبة.

[1] المرجع في تاريخ الأخلاق، محمد عبدالرحمن مرحبا مكتبة جروس لبنان، 1988م، ص35

2 الموسوعة الفلسفية معن زيادة مادة اخلاق معهد الانماء العربي القاهرة ص40

[3] المعجم الفلسفي، جميل صليبيا ، دار الكتب العالمي لبنان 1994م ص48

[4] رسالة مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل ابن حزم ضمن رسائل ابن حزم ج1، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع1986م، ص379

أما العفة فهي غض البصر وجميع الجوارح عن الأجسام التي لا تحل للإنسان، فما عدا هذا فهو عجز وضعف، أما العدل فإنه إعطاء الواجب وأخذه، أما الجور هو أن تأخذ الواجب ولا تعطيه، والكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً وتتجافي عن حقك لغيرك قادراً وهو فضل ايضا، وكل جود كرم وفضل، وليس كل كرم وفضل جود، لأن الفضل أعم من الجود[1] أما الشجاعة فهي بدل النفس للموت عن الدين وعن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم.

ثانيا: غاية الأخلاق عند ابن حزم:

إذا كان أغلب فلاسفة اليونان من أفلاطون وأرسطو إلى فلاسفة الإسلام كابن سينا والفارابي قد تناولوا مفهوم الأخلاق في كتبهم وربطوه بمعنى السعادة، وسبل تحقيقها، فإن ابن حزم غلب عليه الجانب الديني أكثر من الجانب الفلسفي، فالكندي وابن مسكويه والفارابي وابن سينا جمعوا بين النزعة الدينية والفلسفية وكانوا إلى الفلسفة أقرب وهو ما لم يكن موجوداً عند ابن حزم، فقد دوّن افكاره المتعلقة بالأخلاق في كتابه الشهير مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والذي اعتبر فيه أن محددات السلوك والصفات الشخصية هي ما تظهر مضمون الفعل الأخلاقي، فكان جل اهتمامه بالنظام التربوي والاجتماعي لبناء الفرد فيقول: ((في الناس من يبغض اللذات بطبعه ويستنقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كأكثر من نرى من العامة وهذه هي أغراض الناس التي لا غرض لهم سواها، وليس في العالم مذ كان إلى أن يتناهى واحد يستحسن الهم ولا يريد إلا طرحه عن نفسه)).[2]

[1] نفسه ص352

[2] نفسه ص 337

ويتضح هنا بدقه تحديد ابن حزم الغاية الأساسية العليا من البناء الأخلاقي، والهدف المنشود من النسق السلوكي للإنسان، فهو يشرع في توجيهه إلى تحصيل وبلوغ هذه الغاية السامية والوصول إلى الكمال الأخلاقي، وإيجاد السبل التي توصله إلى مبتغاه النهائي.

ويمكننا تحديد اتجاهات الفلاسفة المسلمين في معالجة موضوع الاخلاق الى ثلاث اقسام:

1:أصحاب الفلسفة التقليدية النظرية وهم الفلاسفة الذين تأثروا بفلاسفة اليونان وهم الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وكانت دراستاهم يسودها الجانب النظري اكثر منه العملي.

2: أصحاب الفكر الكلامي الذين امتزجت دراساتهم للأخلاق بالجانب الديني كالمعتزلة والاشاعرة وإخوان الصفاء وابن حزم وابن مسكويه واقتصروا في دراسة الخير والفضيلة والحسن والاختيار والعدالة.

3:اصحاب الفكر الصوفي الذين يغلب عليهم الطابع الباطني والروحي لتوجيه السلوك الإنساني.[1]

ثالثا: مفهوم الفضيلة عند ابن حزم:

الفضيلة كما جاء بها القرآن هي ما يرتقى بالنفس الانسانية لتصبح عملا انبعاثيا محببا في القلب كما في قوله تعالى: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[1]

[1] الخلاق بين الفلاسفة والمتكلمين مصطفي حلمى دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2004م ص104

وفي المقابل فإن أفعال الخير التي تفتقر الى طمأنينة النفس لا تسمى خير ولا فضيلة كما في قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى }[2]

وقد وصف القرآن الكريم الطريق الحقيقي الاصيل لتربية روح الفضائل عند الإنسان لأن عناية الإنسان بجوانب بناء الشخصية الصالحة يعد أساسا ضروريا لإصلاح كافة النفوس الاخرى تمشيا بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الغاية القصوى التي يسعى اليها الإنسان هي الخير الأعلى وأتباع رضوان الله سبحانه قال تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }[3]

يعرف ابن حزم الفضيلة بأنها الخلق الطيب وإذا اعتادت الإرادة شئياً طيباً سميت بهذه الصفة فضيلة، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب الذى أعتاد أن يختاره وأن يعمل وفق ما تامر به الأخلاق. [4]

فالفضيلة بهذا المعنى صفة نفسية داخلية بحسب ما يرى ابن حزم، وهي تختلف عن الواجب الذي هو عمل خارجي.

وقد تناول الفلاسفة إلى ونان القدماء مفهوم الفضيلة بصور مختلفة كلا بحسب نمط فلسفته الخاصة، حيث اعتبر افلاطون أن لكل قوة في النفس الإنسان ية فضيلة خاصة بها، فالقوة الغضبية فضيلتها الشجاعة، والقوة الشهوانية فضيلتها العفة،

[1] سورة الحديد الآية 29

[2] سورة النجم الآية 33-34

[3] سورة لقمان الآية 17

[4] الأخلاق ومذاهبها، صلاح الدين خليل عثمان، دار النشر العلمية بيروت لبنان، ص57

والقوة العاقلة فضيلتها الحكمة.[1] أما ارسطو فقد أعتبر أن الفضيلة ملكة خلقية يكون بسببها الإنسان صالحاً ويقوم بما يتوجب عليه على أحسن وجه.[2]

أما علماء الأخلاق في العصر الحديث فقد اعتبروا أن الفضيلة مفهوم نسبى يختلف بحسب الأفراد والحاجات، حيث إن فضيلة الكرم لا تُعد فضيلة ذات أهمية بالنسبة للفقير مقارنة بالغنى، إلا أن الناس جميعا مطالبون بالاتصاف بكافة الفضائل كالصدق والعدل على اختلاف مذاهبهم واجناسهم، [3]اما ابن حزم فإنه نظر إلى الطبيعة الذاتية الباطنية للإنسان على إنها ما يحدد السلوك، فلا يكون الإنسان فاضلاً إلا من خلال تلك الممارسات التي تقوم بها مع الآخرين، فيرى بأنه من غير الممكن أن يفطر الإنسان بطبع ذا فضيلة ولا رذيلة منذ وجودة أو ظهوره في العالم، لكنه يمتلك استعداد طبيعي يتجه به نحو الفضيلة عند اندماجه مع الاخرين، وهو بالضبط ما أشار إلى ه أفلاطون من أن الإنسان محتاج إلى الاتصال الذاتي بالمحيط، وهو ما عبر عنه ارسطو بقوله إن الإنسان مدنى بطبعه، فهو محتاج إلى غيره لتحقيق السعادة، وقد تفطن ابن خلدون لذلك في كتابه المقدمة عندما قال إن الاجتماع الإنسان ي شيء ضروري وإن العمران البشري يحصل عن طريق الاجتماعات الإنسان ية التي تسودها الفضيلة والانسجام والتوافق.[4]

ومن هنا ندرك بأن ابن حزم جعل الجوانب الأخلاقية تنصب حول النفس وطرق إصلاحها وذلك لأنها تستند إلى الفضيلة، وتتجه نحو السيرة الفردية التي تنتهى إلى تحقيق السلوك الخير، وقد دون في كتابه الشهير مداوة النفوس نتيجة تجاربه،

[1] تاريخ الفلسفة إلى ونانية يوسف كرم، مطبعة لجنة التإلى ف والترجمة القاهرة 1936م ص119

[2] نفس المرجع السابق ص253

[3] الأخلاق ومذاهبها، مرجع سابق، ص58

[4] المقدمة، ابن خلدون، شرح وضبط خليل شحادة، ج1، دار الفكر العربي بيروت، 2001م، ص45

وكذلك العمق الديني الذى اتصف به فيقول((قد جمعت في كتابي هذا معان كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعإلى ، بمرور الايام، وتعاقب الاحوال حتى أنقضت في ذلك أكثر عمرى وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل إلى ها أكثر النفوس... ورقمت كل ما سردت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله تعإلى به من شاء من عبادة فمن يصل إليه ما أتعبت فيه نفسي وأجهدتها فيه، وأطلت فيه فكرى... لإصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداوة علل نفوسهم.[1]

رابعا: السعادة عند ابن حزم وعلاقتها بالأخلاق:

شرح ابن حزم في صفحات كتابة مداوة النفوس سبيل الوصول إلى السعادة من خلال معالجة غايات السلوك الأخلاقي، فأثبت أن السعادة الآخرويه هي المطلب النهائي لكل فعل أخلاقي، وهى الكمال الأعلى الذى يسعي إلى ه الإنسان ، وقد اثبت من خلال خبرته الدينية والفقهية، أن تحصيل تلك الغاية لا يتأتى بإلى سر، بل على الإنسان مجاهدة نفسه للتغلب على كل شهواتها، حتى يتمكن من بلوغ تلك الغاية المنشودة.

فالسعادة الحقيقة تتمثل في الخيرات الأبدية، ولهذا فإن سعى الانسان يجب أن يتجه لتحقيق هذه السعادة حيث البقاء بلا فناء والعلم بلا جهل، والوصول الى السعادة لا يتم إلا باكتساب الفضائل النفسية والسعي حثيثا لنيل الفائل كالتعقل والعدالة والشجاعة والعفة قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً }[2]

[1] مداوة النفوس وتهذيب الأخلاق، ابن حزم، ص 333

[2] سورة الاسراء الآية 19

والنعم الدنيوية هي نعمة وسعادة إذا تناولها الإنسان على الوجه الذى أمر به الإسلام فقال تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ }[1]

فالبحث الإسلامي للأخلاق مبنى على تحصيل الاخرة باتباع أوامر الله واستغلال نعم الدنيا بما يرضي الله سبحانه، أما من استخدمها بغير ذلك كانت لهم عذابا عاجلا أو آجلا وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }[2]

ونصل من خلال ما سبق أن السعادة الحقيقة والابدية هي سعادة الآخرة وهى ما يتوجب على الإنسان السعي إليه والعمل من أجل تحقيقه.

فمذهب السعادة ليس بالجديد لكن أغلب أصحابه يرون أن كل إنسان يعمل ما بوسعه ليصل إلى سعادته، ولكنهم اختلفوا في وسائل تحصيلها، حيث جعل أبيقور اللذة العقلية مطلباً أساسياً لتحقيق السعادة، في حين جعل السفسطائيين اللذة الوقتية غاية قصوى للسلوك الأخلاقي، أما سقراط فقد رفض هذا التصور السفسطائي وأعتبر أن ممارسة الفضيلة وادراكها هو طريق السعادة الحقيقية، باعتبارها نتاجا للمعرفة والتعقل، وبهذا يكون سقراط قد ربط بين المعرفة والفضيلة.[3]

[1] سورة النحل الآية 30

[2] سورة التوبة الآية 55

[3] تاريخ الفلسفة إلى ونانية يوسف كرم، ص125

أما أفلاطون فإنه قد ربط بين السعادة والعدالة وقصد بذلك الاعتدال في قوى النفس والاعتدال في القيم والمثل والتصورات الأخلاقية التي تدرك لذاتها لا شيء آخر.[1]

ومن هنا نصل الى أن الكثير من الفلاسفة يتفقون مع ارسطو بقوله إن الاخلاق علم عملي لأنه يبحث في الإنسان من حيث هو إنسان وعلم الاخلاق يهدف الى تحقيق غاية في حياتنا لأنه يبين الطرق التي من خلالها يصل الى تحقيق الغايات النهائية والعليا لمجال الاخلاق.

فعلم الاخلاق بشكل كامل يهتم بدراسة السبل التي تمكن الإنسان وتساعده من تحقيق غاياته ويزوده بمهارات فنية تمكنه من إدراك التصرف السليم وكذلك يترك له الاختيار لما هو اخلاقي وخير وفاضل.[2]

وبهذا يكون كل البشر ينشدون البحث عن تحقيق السعادة، التي عّدها البعض بانها اللذات العليا الغير حسية على النشاط العقلي وحب الجمال والعبادة الروحية لان السعادة تستوعب كيان الانسان كله لا جزء منه فقط فهي تقترن بكل مظاهر النشاط البشري.[3]

خامسا: نظرية طرد الهم وادراك الفعل الأخلاقي عند ابن حزم:

لا تتضح معالم الفلسفة الأخلاقية عند ابن حزم إلا بالتعرف على نظريته التي سماها (طرد الهم)وهي ما يوضح بشكل كامل الغاية القصوى من الفعل الأخلاقي والسلوك الفاضل، وهو ما يسعى إلى ه كل كائن بشري.

[1] المرجع في تاريخ الأخلاق محمد مرحبا ص40

[2] فلسفة الاخلاق مصطفي عبده مكتبة مدبولي القاهرة 1999ص67

[3] نفسه ص69

وإذا ما رجعنا إلى ما عرضه الفارابي وابن سينا في تحديد الجانب الأخلاقي لوجدنا انهما جعلا القيم الفاضلة غاية في حد ذاتها، في حين حدد ابن حزم مصطلح غير متعارف عليه من قبل عند الفلاسفة المسلمون وغيرهم وجعله غاية لكل فعل أخلاقي يسميه طرد الهم، وقد توصل من خلال تجاربه الدينية وخبراته الإسلامية إلى أن الهدف الأخلاقي أسمى من كل فعل آخر، وأن الارتقاء بالحياة الأخلاقية لابد وأن يكون بكمال أعلى ينطلق من الذات نفسها، لكي يتمكن من التغلب عليها بذاته.[1]

وتوصل ابن حزم إلى أن الناس في مختلف البقاع ومختلف الألوان واللغات والأصناف يسعون إلى بلوغ الغاية القصوى والسامية لأنها ليست محل الخلاف بينهم فيقول: ((تطلبت غرضا يستوى الناس كلهم في أستحسانه، وفي طلبه، فلم أجده إلا واحداً وهو طرد الهم، فلما تدبرته، علمت أن الناس كلهم لم يستووا في أستحسانه فقط، ولا في طلبه فقط، ولكن ريتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم، وتباين هممهم وأراداتهم، لا يتحركون حركة أصلا، إلا فيما يرجون به طرد الهم، ولا ينطقون بكلمة أصلا، إلا فيما يعانون به أزاحته عن أنفسهم)).[2]

فهو يريد بهذا أن يثبت بأن الأمر الأخلاقي يستوى فيها كل البشر، حيث اتفقت جميع الأمم منذ أن خلق الله العالم إلى أن يتناهى عالم الابتداء ويعقبه عالم الحساب على أن لا يعتمدوا لسعيهم لشيء سواه، وكل غرض غيره ففي الناس من

[1] ابن حزم الاندلسي ومنهجه وافكاره، احسان عباس دار الفكر العربي القاهرة ص156

[2] رسالة مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ابن حزم، ص336

لا يستحسنه إذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة، وفي الناس من أهل الشر من لا يريد الخير ولا الحق بهواه وإراداته.[1]

فهو يقصد أن غاية كل إنسان عاقل، وهدف كل فرد في المجتمع هي الوصول إلى السعادة الحقيقية القصوى، وذلك لا يتأتى إلا بالسعي نحو إرضاء الله سبحانه وتعالى والتوجه إلى مجانبة الدنيا والعمل للفوز بالآخرة، وبهذا جعل ابن حزم أسمى هدف أخلاقي يسعى له الإنسان في وجوده هو العمل للآخرة، وهو ما يبدأ بإبعادهم الهم والحزن، لأنه ما اتفق عليه بنو البشر فيقول ابن حزم:((فلما استقر في نفس هذا العالم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز الطبيعي للبحث عن السبل الموصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذى هو المطلوب النفيس الذى أتفق جميع أنواع الإنسان الجاهل منهم والعالم، الصالح والطالح على السعي له فلم أجدها إلا بالتوجه إلى الله عزوجل بالعمل للآخرة))[2] ومن هنا يمكننا القول إن تحقيق السعادة العليا الخالدة التي يسعى لها كل إنسان لا يكون إلا من خلال العمل المتواصل في الحياة الدنيا لما هو بعد الموت أو لما هو في الحياة الباقية.

يعتبر أساس الإيمان بالحياة الآخرة في الجانب الإسلامي للأخلاق من أهم الأسس التي يسير عليها البناء الاخلاقي وفي عملية الالتزام به، وبدونه تفقد الاخلاق قدسيتها وتأثير القوى في الإنسان، كما أن أسس الحياة بجملتها توكد على ذلك،

[1] نفسه ص336

[2] مداوة النفوس ابن حزم ص337

وإن ما جاء به القرآن الكريم في مجال الافعال الاخلاقية ذو قيمة كبيرة وهو ما يكمل النقص في المذاهب الفكرية التي اهتمت بدراسة الاخلاق.[1]

فنظرية طرد الهم التي نادى بها ابن حزم تدور حول البحث عن أقصى ما يطمح الإنسان إليه وهو طرد الأحزان والأكدار وإبعاد الأحزان.[2]

وما يعبر عنه ابن حزم بطرد الهم يعبر عنه غيره بمعنى آخر كما فعل ابن المقفع الذي جعل غايات الإنسان وصلاح معاشه يكمن في المعاد.[3]

وخلاصة نظرية ابن حزم أن ماهية الإنسان وجوهريته تتمحور حول التخلص من أعظم الشرور و بكل الوسائل وهو الهم.

ومن أسباب نشوء الهم عند الإنسان (الطمع) لأن شراهة الإنسان وطمعه في تحقيق ما يقدر وما لا يقدر هو ما يجلب إلى ه المتاعب، ومن تم الهموم، ولهذا يجهد الإنسان حياته للتخلص منها، وبهذا يتضح أن أصل كل هم خلق دميم. [4]

فابن حزم يومن بقوة الطمع في ظهور جانب الشر في الحياة، ومن تم أمن بأن الهم شر، ولهذا كان لازماً على الإنسان التوجه إلى الله تعإلى ، ويسعى لطرد الهم، لأنه ملازماً لبقاء الشرور، ولا يزول الشر إلا بزواله، ونلحظ من هنا أن نظرية ابن حزم في طرد الهم تقترب من النظريات الاجتماعية والنفسية التي ترجع الطمع إلى الغرائز والرغبات والبحث عن الشهوات.

[1] الاخلاق بين الفلاسفة والمتكلمين مصطفي حلمى ص109

[2] ابن حزم زكريا إبراهيم الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ص47

[3] الادب الصغير ابن المقفع تحقيق احمد زكى مكتبة العروة الوثقي الاسكندرية ص15

[4] ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي و الحضارى عبدالحليم عويس شركة سوزير للنشر القاهرة 2002 ص87

سادسا: ملامح الحِكم الأخلاقية عنده:

إذا تأملنا في كتاب ابن حزم نجد أنه قد ترك لنا عدداً من المواعظ والوصايا والحكم التي توصل إليها من خلال تجاربه وخبراته في مجال الحياة، ومن خلال ممارسته لعلوم الفقه والاصول وهي ما يلخص أسلوبه في الحياة ويبين رؤيته الخاصة للجوانب الأخلاقية وأسس السلوك الإنسان ي منها:

- لذة العاقل بتميزه ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم بحكمه ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده وهي أعظم من لذة الآكل بأكله والشارب بشربه.
- لا تبدل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعائه إلى الحق.
- لا مروة لمن لا دين له.
- العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة.[1]
- طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل بل هو باب العقل كله والراحة كلها.
- ليس بين الفضائل والرذائل ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نقاء النفس وأنسها فقط فالسعيد من آنس نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي والشقي من آنس نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات وليس هاهنا إلا صنع الله تعالى وحفظه.[2]
- طالب الأجر في الآخرة متشبه بالملائكة وطالب الشر متشبه بالبهائم.

[1] ابن حزم وعصره محمد ابو زهرة دار الفكر العربي القاهرة ص128

[2] مداوة النفوس وتهذيب الأخلاق ابن حزم ص340

- العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة، وإنما يغتبط بتقدمه بالفضل وذلك ما أبانه الله عن باقي الكائنات.
- نهى النفس عن الهوى وذلك جامع لكل فضيلة لأن فيها ردعها عن الطبع الغضبى والشهواني وكليهما واقع تحت دافع النفس والهوى.
- الابتعاد عن الغضب لأن نهي النفس عن الغضب هو أقوى ردع لها عن هواها.[1]

خاتمة

تستند الأخلاق في الفكر الإسلامي بوجه عام، وابن حزم بوجه خاص إلى عدد من الثوابت المشتركة بين المفكرين والفلاسفة (كالفضيلة والسعادة والخير) لأنها تعُد احكاما قيمية مطلقة ولأنها تكون غاية قصوى لدى الإنسان وعلاقته بكامل أفراد مجتمعه، اذ أن كل فرد عليه أن يجتهد في تحقيقها بأكمل وجه، وهو سبب استمرار العلاقات الاجتماعية بصورة اخلاقية كاملة، وكلما حقق الإنسان التكامل الاجتماعي مع غيره من الناس كلما كان المجتمع معبراً بصورة كبيرة عن الافعال الأخلاقية السامية.

كما أن التصورات الأخلاقية للأفعال عند ابن جزم هي انعكاس للواقع المرير السيئ الذى ترعرع فيه، إذ أنه شهد انحرافا وفساداً نتيجة الترف والمال والغوص في الفواحش والرذائل والانغماس في الملذات والابتعاد عن الدين، ولهذا حاول التوصل إلى العلاجات المتعلقة بالسلوك للارتقاء بالمجتمع نحو الكمال الأخلاقي.

[1] نفسه ص341

وتوصل ابن حزم إلى تطوير الدلالة المزدوجة المتصلة بالسلوك الأخلاقي المرتبط بنظرية الفعل فقط ليصبح تحصيل القيم المجتمعية والوصول إلى قواعد الفعل الأخلاقي تتصل بالسعادة في الآخرة.

كما تمركزت اهتمامات ابن حزم حول سلوكيات الإنسان التي يمارس من خلالها منهجه الذاتي بهدف اصلاح النفس والسيرة الحسنة التي تنتهى إلى المعاد الاخروى وتجنب الوقوع في المعاصي والرذائل.

قائمة المصادر والمراجع

1: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، محمد ابراهيم نصير، دار الجيل بيروت.

2: لسان العرب، ابن منظور، مادة خلق، دار المعارف القاهرة، ج2، .

3: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، ابن مسكويه، مكتبة الوفاء الدينية 2010م.

4: الغزالى احياء علوم الدين تحقيق بدوى طبانه دار احياء الكتب العربية ج1.

5: المرجع في تاريخ الأخلاق، محمد عبدالرحمن مرحبا، مكتبة جروس لبنان، 1988م.

6: رسالة مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل ابن حزم، ضمن رسائل ابن حزم ج1، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع1986م.

7: الأخلاق ومذاهبها، صلاح الدين خليل عثمان، دار النشر العلمية بيروت لبنان.

8: تاريخ الفلسفة إلى ونانية يوسف كرم، مطبعة لجنة التإلى ف والترجمة القاهرة 1936م.

9: المقدمة، ابن خلدون، شرح وضبط خليل شحادة، ج1، دار الفكر العربي بيروت، 2001م

10: الادب الصغير ابن المقفع تحقيق احمد زكى مكتبة العروة الوثقي الاسكندرية.

11: ابن حزم الاندلسي زكريا إبراهيم الدار المصرية للتإلى ف والترجمة القاهرة.

12: ابن حزم منهجه وأفكاره احسان عباس، دار الفكر العربي القاهرة.
13: ابن حزم وجهوده في التاريخ والحضارة عبدالحليم عويس شركة سوزير للنشر القاهرة 2002
14: ابن حزم وعصره محمد ابو زهرة دار الفكر العربي القاهرة.
15: الكليات ابو البقاء الكفوي دار الفكر العربي القاهرة.
16: الموسوعة الفلسفية معن زيادة مادة اخلاق معهد الانماء العربي القاهرة.
17: فلسفة الاخلاق مصطفي عبده مكتبة مدبولي القاهرة 1999
18: المعجم الفلسفي، جميل صليبيا ، دار الكتب العالمي لبنان 1994م